سيكولوجية الأديب

للدكتور ابراهيم ناجى

فى هذا الموضوع ناحية شخصية طريفة ، وطرافتها تغريبى بالتريثة ؛ فإنى لا أرى الآن موضوعاً علمياً ، وإنما أرى أمامى شخوصاً وأسماء وصنوفاً من النفسيات تكون مجموعة مسلية نخمة . ومع ذلك ، فسأتنكب هذا الجانب البديع ، وأتكلم كلاماً علمياً سيكولوجياً تكون فائدته أعم وأوقع

أجل ، من أهم الموضوعات الاجتماعية مسألة : « سيكولوجية الأديب »

ولما كان الأدب فرعاً من الفن ، كان الكلام الصحيح هو عن سيكولوجية الفنان . ومقال اليوم يتناول سيكولوجية الفنان المصرى، لأن للفنان المصرى طابعاً خاصاً به لا تجده فى غير مصر، وللثقافة الفنية فى مصر طرقا لا تجدها فى غيرها من البلاد

ولما كان الجسم والنفس وحدة متماسكة ، فإن أمراضهما متصلة ، وإن كانت فى الجسم أعضاء تتأثر أكثر من غيرها . وفوق ذلك ، فإن للأدباء المصريين أمراضاً خاصة بهم وحدهم .

نبدأ الآن بالتحدث عن نفسية الأديب المصرى :

الأديب المصرى يتدر أن يكون رجلاً طبيعياً . فإننا إذا نظرنا إلى الحياة وتعريفها ، ثم إلى الأدب وتعريفه وخصائصه ، تبين صحة ما نقول

ما هى الحياة ؟

أصدق تعريف لها أنها تفاعل بين عوامل خارجية تتكون من البيئة والظروف والعادات والتقاليد ؛ وعوامل داخلية تتكون من العناصر التى بتفاعلها وتطورها وتماسكها أدت إلى المجموعة التى اصطلحنا على تسميتها «بالشخصية». الحياة «ميزانية» بين دخل وخرج . الحياة موازنة بين قوتين وملاءمة بين دافعين ، وكل ما يعترى الحياة من اعوجاج أو شذوذ ، أصله اضطراب فى ميزان التفاعل ، وأصل ذلك الاضطراب اختلال فى عنصر من العناصر الداخلية أو الخارجية

وإذا سلمنا أن الدوافع الخارجية متساوية بالنسبة لنا جميعاً ، سلمنا كذلك أن الاختلال أكثره داخلى أى فى ذواتنا ، وفى صميم أنفسنا . ولنراجع الآن أهم العناصر الداخلية فى النفس بوجه عام ، ثم نراجعها فى نفس الأديب المصرى بوجه خاص

أهم العناصر الداخلية التى تكون « الذات » هى « العادة » و « الجنس »

ويدخل تحت حكم العادة ما نسميه « بالخلق » . ولا يخفى أن التربية « عادة » ، تخلقنا وتربيتنا أخيراً هما ما اعتدناه وصار طبيعة ثانية . ويدخل فى بناء الشخصية ـ بعد العادة ـ مواهب موروثة أو فطرية كالذاكرة والخيال والذكاء

ويتكئ ذلك كله على الغرائز الفطرية التى هى واحدة فى جميع البشر ، وإنما يختلف عملها بمقدار ما أطلقنا منها وما كبتنا

وأما « الجنس » فيساوى « الحب » ويجب ألا يفهم من ذلك اللفظ حب الشهوة ، وإنما الحب على طول خطه المبتدئ بالوالدين المنتقل إلى المجتمع المنتهى بالزواج

ولعل ترتيب الأمور بأهميتها يكون على الوجه الآتى : الوراثة ، العادة ، الحب

إنى أعطى الوراثة المكان الأول لكى أؤكد أن هناك ذكاء مكتسباً موروثاً ، وآخر نحصل عليه بالران . الأول عميق « عمودى » والثانى « سطحى »

ولا جدال فى أن الأدب يورث، والمواهب الأدبية كالخيال ، والموسيقية وغيرها ، مواهب تورث أى تولد ولا تصنع

والأدب تنبت جذوره وعناصره فى الطفولة . فمن المألوف أن الطفل يقام على اللحن الموسيقى ، ويستأنس بالغناء ، ويحب القصة الخيالية ، وقد يؤلفها هو نفسه

فالواقع أن الأديب طفل لم يكبر . والأديب الصحيح من له خصائص للطفل ، فى فرحته بالأشياء ، وسذاجته ، وتهلله ، وضحكته ، وخياله ، وفرحه وابتهاجه بالموسيقى . والتربية الأدبية الصحيحة ، هى التى ترمى إلى شيئين : تربية الحواس ، فإن حدة الحواس هى الوسيلة التى بها يستعين الأديب على التقاط الصور وتذوق الأشياء . والشىء الثانى جو الحرية الذى فيه تترعرع شجرة الذات ، وتتغذى تلك الحواس النشطة المتقدة

والأديب المصرى محروم من الأمرين . ففى المنزل وفى المدرسة لا يجد من يتعهد تلك الحواس بالتغذية ، وفى المنزل يجد التربية قائمة على الزواجر والنواهى ، وقتل حرية الاستطلاع التى هى أهم

خصائص الأديب . وفى المدرسة يجد سلسلة من « الكليشهات » التعليمية التى تقتل المواهب وتقبرها وتدفن شجرة الحرية دفناً ! وكما ذكرت ، عندنا أديب بالسليقة ، وأديب بالاكتساب

أما الأول فيمر على تلك الأدوار ونفسه تشعر بالضيم ، وتنطوى نفسه على ثورة مكتومة . والثانى يتلقى تلك الأخطاء ، ويبتلعها بسهولة ، ويصل إلى عتبة المستقبل رجلاً عادياً يتميز عن غيره من الناس بقليل من المواهب الكلامية والبيانية وشىء من الحقد على المباقرة وأرباب النبوغ

ونتكلم الآن على مسألة «الحب» لما لها من الأهمية البالغة فى حياة الأديب ، ولما لها من الشأن فى مصر خاصة

الحب فى تعريف بلاتو وفى تعريف البيولوجيا « شطر يبحث عن شطره الآخر الذى كان لاصقاً به ومكملاً فانفصل ... »

فالبيولوجيا تقرر أن المخلوق كان فى البدء وحدة ثم شُطر ، وكان الشطران فى البدأ على جذع واحد وكانا متساويين ، فلم يلبثا أن تميزا على الجذع ثم انفصلا ، ثم قضى الله عليهما أن يبحث كل عن الآخر ... فى سن المراهقة حيث تنشط الغدد وتتأجج الحواس وتتطلع النفس باحثة عن شطرها الضائع

وهذا الوقت هو أزمة الأزمات . وهو عندنا فى مصر ـ خاصة ـ عهدٌ خطر ، ومع الأسف يقل فيه الإرشاد وتندر الصراحة الواجبة ، مع أنه العهد الذى يبدأ فيه نضج الأديب ، وتزدهر مواهب الفنان وتتفتح

فإن النفس التى تتطلع إلى مثلها الأعلى ، أى إلى توأمها من الجنس الآخر ، قد تجده ، فإن وجدته قد لا تظفر به ، أو قد تظفر وتنتهى الرواية ، أو لا تجده ، فتتحول إلى خلق شىء على مثاله ، أو التغنى بالحنين إليه ، أو رسمه على القماش أو الحجر ، وهكذا . أو تكون الأزمة النفسية من الشدة بحيث تحدث اضطراباً نفسياً كبيراً ، فإما أن يكون هذا الاضطراب تحدياً واعتداء ، أو تخاذلاً وانطواء ، وإما أبعد من ذلك ، وهو الجنون . فنحن الأطباء نعرف ما هو جنون المراهقة ونفهم أسبابه وعلته

قلت إن هذا العهد فى مصر أخطر المعهود على الشاب الأديب

فإما أن يكون أديباً عبقرياً ، فطامته الكبرى أن مثله الأعلى غير موجود أو مستحيل ، وكارثته الأخرى أنه إذا وجد خياله المنشود ، يخفق فى الحصول عليه أولاً ، لأنه ضال لا يعرف الطريق العملى إلى ذلك ، وثانياً لأنه شديد الحساسية متناه فى الاعتزاز بكرامته فيغر بها حتى من وجه الحبيب ! أما الأديب « المصنوع » فهو قد ركب فى « القالب » الخطأ وقبله وانصب فيه ، وحمته أولاً فى « التركيب » الذى ركب فيه ، وثانياً فى الحقد المتأصل فى نفس صغيرة بالفطرة وبالتربية ، وثالثاً فيما يحاوله لبلوغ مرتبة العبقرية والعبقرية منحة من السماء

هذا فيما يختص بالعناصر الداخلية أو كما يسميه الدكتور جوردون صاحب كتاب «العصبى وأصدقاؤه» «ضغط الظروف» فهو الذى باصطدامه مع تلك العوامل التى ذكرناها يسبب المرض العصبى ، وذلك الاصطدام منشؤه عند العبقرى عظم الفرق بينه وبين البيئة ، وعند الأديب المصنوع الفرق بين ما يتعاطاه وما يحاول أن يصل إليه

هذا موجز لمرضى الأدباء مرضاً نفسياً ، أما أمراضهم الجسمية فمسببة عن اضطراب ذواتهم وقلقلة حياتهم . فهم قوم مسرفون فى التفكير ، ينامون قليلاً ويأكلون قليلاً ـ وأكثر الأدباء فقراء ! وشذوذهم يدعوهم إلى تناول أطعمة شاذة ، وقد يستعينون بالمنبهات على إدمان العمل ووفرة الإنتاج

وهم فى مصر قليلو الرياضة ، ولذلك يمرضون بالكبد والمعدة وأكثرهم يأتوننا شاكين من اضطراب القلب ، وليس فى قلوبهم مرض . وإنما منشأ علتهم فرط ذكائهم واطلاعهم فهم يقلبون كتب الطب فيفهمونها نصف فهم ، ثم يتحسسون قلوبهم وأكبادهم ويتخيلون فى المرض كما يتخيلون فى الأدب .

ابراهيم ناجى

ادارة البلديات ـــ طرق

تقبل العطاءات بادارة البلديات (بوستة قصر الدوبارة) لغاية ظهر ١٥ يونية سنة ١٩٤٠ عن عملية رصف بعض شوارع مدينة السويس وتطلب الشروط من الادارة نظير ٢ جنيه ٦٨٠٠